المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١١ ربيع ثاني سنة ١٣٢٧

السلطان محمد الخامس

مرَّ بنا شهر لم تزَ الممالك العثمانية مثلهُ منذ امد بعيد فقد تراوحت فيهِ بين ان تحرَم الدستور وبثور ابنائها حتى يفني بعضهم بعضاً غدراً وحرباً وتمسي البلاد طعمةً للطامعين فيها وبين ان يتأيد الدستور وتنزع اسباب العداء والخصام وتنفى عوامل التفريق والتمزيق. واخيراً تغلَّب حزب الدستور اي جمعية الاتحاد والترقي وانصارها على الاحزاب المعادية لهم بعد ان صُبغت شوارع الاستانة بالدماء وتراكمت اشلاء القتلى بل شهداء التعصُّب الديني والجهل المطبق في ولايات الاناضول. وانقضت تلك الرزايا قبل كتابة هذه السطور بخلع السلطان عبد الحميد وتنصيب اخيهِ رشاد

ولقد كنا قبل اعلان الدستور نراقب احوال السلطنة العثمانية ونحن بين عاملَي الخوف والامل — الخوف من التعصُّب الديني والجنسي المستولي على عامَّة الاهلين وقد رسخ فيهم بالوراثة خلقاً عن سلَفٍ واستُنبطت كل الوسائل التي تزيدهُ حتى يبقى بعض الخاصَّة مستأثرين بالسلطة يجزُّون صوف الرعية ويأكلون لحمها ويشربون دمها ولا رادع لهم — والامل ان اشتراك الناس في تحمُّل الظلم والقهر يؤلف بين القلوب المتنافرة ويجمع شتات القوى المتفرقة فتقاوم المرهقين

وكان الأمل رائدنا ولاسيما بعد ان رأينا نهوض اليابان وصيرورتها دولة عظيمة كاعظم الدول الاوربية في سنوات قلائل ولا شعبها ارقى في جنسهِ من الشعوب العثمانية ولا بلادها افضل في خصبها وموقعها من البلاد العثمانية . فجعل كتَّاب ابناء اليابانيين اغراء للعثمانيين بالجري على خطتهم والنسج على منوالهم وبقينا نتراوح بين الخوف والامل الى ان أُعلن

الدستور ورأينا الشيخ يعانق القسيس في الكنيسة والقسيس يعانق الشيخ في الجامع ويقولان ديننا الوطنية . والعربي والتركي واليوناني والارمني يتصافحون ويتعانقون ويقولون لقد تركنا جامعاتنا الجنسية واتخذنا لنا جامعةً واحدة وهي العثمانية . لما رأينا ذلك قلنا لقد غلب الامل وتحقق الرجاء . ثم انتخب النواب لمجلس المبعوثان وساد السلام والوئام وحالف السلطان يمين الولاء للدستور وجعلت الحكومة تحلُّ المشاكل الكبار واحدةً واحدة والدول الاوربية تنظر اليها بعين الاجلال والتعظيم

لكن ابت سنّة الكون ان تخالف نظامها وتقبل بهذا الانقلاب من غير سفك دم فان الذين كانوا يتنفعون من الحكم القديم وزال انتفاعهم في الحكم الجديد والذين توقعوا ان يتيلهم الحكم الجديد مغنماً فلم ينالوهُ دسوا الدسائس واستعانوا بجهل الجهلاء وتنطع المتحمسين بالدين لكي يقلبوا الحكومة الجديدة رأساً على عقب ويلغوا الدستور او يجمدوهُ الّا في يدهم ووسيلة لنيل اغراضهم . ولقد نقلنا في الجزء الماضي من المقتطف كلاماً للدكتور نظيم بك من كبار اعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال في خاتمتهِ انهُ يجب على الجمعيّة ان تستمرَّ على السهر والمراقبة مدة طويلة . فتم ما قالهُ ونجّت السلطنة من العود الى الاستبداد القديم لكنها فعلت ذلك بشفار السيوف وقنابل المدافع فقد زحفت بالجنود العثمانية على الاستانة واحاطت بها واحتلتها وادّبت العصاة وقبضت على السلطان لما ثبت لها انهُ مشترك في هذه الفتنة وافتى شيخ الاسلام بخلعهِ امام مجلس الامة المؤلف من المبعوثان والاعيان لانهُ عبث بكتب الدين وبدّد اموال السلطنة وسفك دماء الابرياء فأُسقط من الخلافة الاسلاميّة والسلطنة العثمانية . وصعد الى مقام الخلافة وجلس على عرش السلطنة اخوهُ ولي العهد المشروع محمّد افندي رشاد فنفى الى نظارة الحربية بصحبة مختار باشا الغازي واستقبل الوزراء والكبراء ونواب الامة واقسم يمين الامانة للدستور وهي محمّد الخامس وكان ذلك في ٢٧ ابريل

والذين يعرفون سلطاننا الجديد محمد الخامس يقولون انهُ رجل حسن النية خالص الطوية محبًّا لخير الدولة وخير الرعية وقد ذاق مرارة الاضطهاد من اخيهِ فشارك الامة في ما نالها منهُ وعلم ما ترومهُ وتبتغيهِ وايقن ان حكم الاستبداد لا يطاق ولا يؤمن وان الحكم الدستوري خير للجميع ولذلك تناط الآمال بان يكون جلالتهُ حصناً حصيناً للدستور وعضداً متيناً لاركانهِ الثلاثة الحرية والاخاء والمساواة وان يحيي عهد الاصلاح الذي ابتدأ في زمن والدهِ السلطان عبد المجيد ويسعى في رفع شأن الدولة وترقية مصالح الامة فانهُ اذا فعل ذلك وجد من رعيتهِ امةً واحدة تفديهِ بارواحها وتصون ملكهُ بسفح ابنائها واموال رجالها

ولم يجد اهل الشر والفساد سبيلاً الى تكدير صفاء الامن وتمزيق احشاء السلطنة

ولقد قابلهُ مكاتب جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بعد ارتقائهِ الى عرش السلطنة فقال لهُ من حديث طويل

ان جرائد العالم ولاسيما الجرائد الانكليزيَّة مطالبة بقضاء واجب عظيم فاني اعتقد ان الرجل الذي يدير السيف بيدهِ قوي ولكني اعتقد ان الرجل الذي يحرك القلم بانامله اقوى جميع الناس . كن رسولي وابلغ اوربا والعالم كلهُ عني ما اقولهُ لك ليعلم الجميع اني كنت دائماً راغباً في الحرية والتقدم ومؤيداً لهما ولا ازال كذلك وقد شاء الله سبحانهُ وتعالى ان ارتقي الى سرير آل عثمان وانا شاعر كل الشعور بالمسأولية الملقاة على عاتقي والواجبات المطلوبة مني والعبء الثقيل الذي اتحملهُ واوَمل بمعونة الله ان اسير في الصراط المستقيم واؤيد كل من كان شريفاً مستقيماً سواء كان من المسلمين او غير المسلمين بلا فرق ولا تمييز . نعم ان صوتي لم يسمع مدة ثلاث وثلاثين سنة ولكن صوت ضميري لم ينم

وهو كهل في الخامسة والستين من عمرهِ متوسط القامة ممتلئ الجسم لين العريكة لهُ المام بالعربيَّة والفرنسوية ومعرفة تامة بالفارسيَّة واطلاع تام على السياسة الاوربيَّة فاذا سار في الممالك العثمانية سيرة ميكادو اليابان في بلادهِ ومنع كل شغب فيها بعلة الدين فلا شيء يمنع بلوغ الامة العثمانية اعلى المقامات بين الامم الاوربيَّة . لان الاجناس التي تألفت منها من ارقى اجناس البشر وقد كان لها تاريخ مجيد لا تفوقها فيهِ امة من امم الارض وبلادها اغنى بلدان المسكونة في خيراتها الطبيعيَّة واطيبها بقعةً واصلحها للتجارة ولا تحتاج الاَّ الى حكومة تحفظ لها حقوقها ولا تقف في طريق ارتقائها

افتتاح ميناء بورت سودان

يظهر باتل نظرانهُ لا يرجى فلاح بلاد السودان ما لم تُصدِّر شيئاً من حاصلاتها توفي بهِ ثمن ما تجلبهُ من البضائع والمواد التي لا توجد فيها . والتصدير منها بطريق القطر المصري كثير النفقة لطول الشقة فرأى اولياء الامر ان ينشئوا لها مرفأً تجاريًّا على البحر الاحمر فاختاروا لذلك مكاناً قريباً من مدينة سواكن فيهِ مرسىً امين للسفن فانشأوا هناك مدينةً ومرفأً يقال انهُ لا يفوقهُ مرفأً في المسكونة في بنائهِ واتقان وسائل الشحن والتفريغ التي فيهِ لاسيما وانها كلها تتحرك بالكهربائية . وقد فتح هذا المرفأ رسميًّا في اول ابريل فتحهُ الجناب